الأهرام

المصدر : الاهرام
التاريخ : ١٩ اغسطس ١٩٩٩

نعم... «باراك» يختلف عن «نيتانياهو»... ولكن!

على الرغم مما سبقتنا اليه بعض الصحف الإسرائيلية، عندما قالت إن حكومة باراك ليست سوى نسخة مستنسخة من حكومة نيتانياهو، وأنها، فيما يبدو، غير مؤهلة للسلام وأضعف من أن تمتلك القدرة على اتخاذ القرارات الجريئة والحاسمة... وعلى الرغم من بعض شواهد المناورة والمماطلة التي لا تخلو في أحيان كثيرة من علامات التضليل... على الرغم من كل هذا وذاك فان مسئولية الحرص على السلام تفرض مزيدا من الصبر العربي «الموقوت»، ومزيدا من الحذر «اليقظ» واستمرار الاستمساك ببعض جوانب الأمل في أن يكون هذا التباطؤ الاسرائيلي نابعا من ضرورات اعادة ترتيب باراك لأوراقه بأكثر من كونها مساومات للابتزاز تحت وهم القدرة على تحويل سلام الحوار والتفاوض الى سلام الاذعان والتسليم بالأمر الواقع!

ولست أظن أنه يخفى على أحد - داخل إسرائيل أو خارجها - إن إحياء آمال السلام والاستقرار في الشرق الأوسط ليست رهنا بارتفاع نغمة التبشير بالأمل التى استهل بها باراك بدايات حكمه، ولا هي مرتبطة بتراجع هذه النغمة الى حدود غير مشجعة كما لوحظ في الآونة الأخيرة، وانما هي رهن في المقام الأول بما يمكن ان يحدث على أرض الواقع من اجراءات وخطوات ملموسة تؤكد جدية القبول الإسرائيلي لدفع الالتزامات المستحقة عليها طبقا لمرجعيات التفاوض الأساسية وتجاوبا مع ماتفرضه الاتفاقيات الموقعة من استحقاقات واجبة السداد في آجال محددة!.

بل ان الإسرائيليين لعلهم أول من يدرك ان عودة الحياة لعملية السلام واستعادة الأمل في وضع بدايات الاستقرار في المنطقة ستبقى حالة مؤجلة ومستحيلة مالم تقبل حكومة باراك صراحة تنفيذ الاتفاقيات الموقعة مع الفلسطينيين وآخرها مذكرة واى ريفر تنفيذا دقيقا وأمينا يشجع على التقدم نحو مفاوضات الحل النهائى.

ثم إن الإسرائيليين أنفسهم - وليس أحدا غيرهم - هم الذين أكدوا مرارا عن اقتناعهم باستحالة التوصل الى سلام حقيقى مع سوريا بغير الانسحاب الكامل من هضبة الجولان السورية طبقا لصيغة التفاهم التى تم التوصل اليها فى المحادثات الثنائية بين البلدين خلال حكم اسحق رابين، والانسحاب الفورى غير المشروط من جنوب لبنان طبقا للقرار رقم ٤٢٥ الصادر عن مجلس الأمن الدولى.

فهل كل هذه الأمور تغيب عن ايهود باراك وحكومته الجديدة؟

من المؤكد أن باراك يعلم كل هذه الحقائق جيدا، ولكن باراك مع التسليم باختلافه الكامل عن سلفه السابق بنيامين نيتانياهو هو فى الأصل والأساس مفاوض إسرائيلى معجون بماء الأسلوب التفاوضى الذى تنفرد به اسرائيل، والذى يقوم على التمسك بأشد المواقف تطرفا لأطول فترة ممكنة من أجل زعزعة موقف الطرف الآخر المفاوض ودفعه الى تقديم أية تنازلات تعتبر بالنسبة لإسرائيل مكسبا وغنما تعتقد هى بحقها فيه كغنيمة حرب، رغم أن زمن غنائم الحروب قد ولى وانتهى منذ قرون طويلة، ولكن هذه هى عقلية التفاوض الإسرائيلى وهذا هو منهج المفاوض الإسرائيلى سواء كان هذا المفاوض ينتمى لحزب العمل أو لحزب الليكود وسواء كان جنرالا عسكريا سابقا أو كادرا سياسيا محترفا، وبغض النظر عما اذا كان يجرى تصنيف هذا المفاوض على انه من جناح الحمائم أم من جناح الصقور.

www.ethraadl.com
إثراء
المعارف الرقمية

الأهرام

ولعل مايفسر ذلك ان باراك وطاقم حكومته الجديدة وعلى البرغم من كل بالونات الأمل التى أطلقوها ومازالوا يواصلون اطلاقها بشان مستقبل عملية السلام وثقتهم الكاملة فى القدرة على تحقيق مصالحة تاريخية بين العرب والإسرائيليين تدفع بالمنطقة نحو عصر جديد - كما ورد فى البيان المشترك عن محادثات باراك وكلينتون فى البيت الأبيض الشهر الماضى - فان أحدا من هؤلاء المبشرين بالأمل لم يصدر على لسانه - بالتلميح أو التصريح - أى التزام صريح بالموافقة على انسحاب القوات الإسرائيلية الى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧، وانما على العكس تتوالى تأكيداتهم المستفزة بان القدس الموحدة هى عاصمة اسرائيل الأبدية وان الاستيطان باق ولن يجرى المساس به وانما سوف يتم توسيعه طبقا للاحتياجات الانسانية.. و... و... و...

●●●

فما هو معنى ذلك؟

هل هذا معناه ان باراك مثل نيتانياهو كما قالت بعض الصحف الإسرائيلية، أم ان الأمر أعمق من كل هذه الشواهد الظاهرية وان مايحسب على باراك من تباطؤ وتسويف أو مصادرة للمستقبل النهائى للتسوية بتصريحات فجة عن القدس والاستيطان وحدود الرابع من يونيو ١٩٦٧ ليس سوى ابتزاز تفاوضى وارد الحدوث؟

وجوابى على ذلك من أرضية اجتهاد شخصى يقوم على التحليل السياسى المجرد هو:

ان باراك يختلف بالقطع كثيرا عن نيتانياهو... ليس فقط فى الوسائل والأساليب، وانما أيضا فى جوهر الفهم لمتطلبات السلام وحدود المطامع الاسرائيلية فى أية تسوية!.

بوضوح شديد أقول إن باراك مازال - وأظن انه سيواصل ذلك - ينتهج خطابا سياسيا واعلاميا مريحا يختلف تمام الاختلاف عن الخطاب الفج الذى كان يتعامل به نيتانياهو ويغلق بمفرداته كل أبواب الحوار والتفاهم.

وهنا لابد أن نقول بأهمية هذا الاختلاف لأننا عندما نتكلم عن تسوية تاريخية لنزاع صعب وطويل ومعقد فاننا لا نتحدث فقط عن أرض مسلوبة أو استحقاقات مطلوبة، وانما نحن نتحدث عن تعايش وحسن جوار وبشر

مرسى عطا الله

خطاب سياسى واعلامى مهذب ورصين فانه لا قيمة لأية تسوية ولا معنى لأى سلام.

وليس معنى ذلك أن مثل هذا الخطاب الاعلامى لباراك الذى عكس تغيرا مقبولا فى وسائل وآليات استعادة اجواء الثقة للعملية السلمية من جديد، يمكن أن يكون كافيا أو أن يخدع أحدا فى العالم العربى بأن فى هذه الكلمات مايبعث على الاطمئنان بأن السلام قادم قادم... وانما ينبغى النظر الى ذلك على انه علامة ايجابية وان بقيت محدودة وغير فاعلة مادامت غير مقترنة باجراءات وخطوات عملية ملموسة على أرض الواقع!

ولكن الأهم من ذلك كله هو ألا تطغى ضرورات الحذر الواجب على الأطراف العربية عدم التخلى عنها، على جوهر الرؤية الحقيقية لحجم الاختلاف بين باراك ونيتانياهو، ومن ثم فاننا نظلم عقولنا اذا استسلمنا لصحة مايتردد من انه لا فرق بين هذا وذاك!

ان باراك يختلف كثيرا عن نيتانياهو كفكر وتنشئة ورؤية وان كان هناك اتفاق عام ليس بينهما فقط وانما بين جميع القادة الإسرائيليين - قديمهم وحديثهم -

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

على حماية مايسمى بامن اسرائيل ومصالحها الحيوية... وتحت عنوان أمن اسرائيل ومصالحها الحيوية يتسع الفارق فى الرؤية بين زعيم وآخر... وإذا كان هناك فى اسرائيل من لايزال يعتقد بأن امن إسرائيل ومجالها الحيوى يمتد من النيل الى الفرات، فان هناك ايضا من يعتقدون بأن ضياع الفرص الراهنة لتحقيق سلام مع العرب واستثمار هذه المتغيرات الايجابية فى الموقف العربى وأهمها الاعتراف بالوجود الإسرائيلى قد يؤدى فى النهاية الى تهديد الوجود الإسرائيلى ذاته مهما طال الزمن!

●●●

والذى يتابع ماصدر عن نيتانياهو من كتب ودراسات وماورد على لسانه من أحاديث وتصريحات ابان فترة السنوات الثلاث العجاف فى عمر عملية السلام يجد ان نيتانياهو كان أقرب - دون صراحة - الى أصحاب الفكر القائل بأن أمن إسرائيل ومجالها الحيوى يمتد من النيل الى الفرات وان اصراره على اقامة اسرائيل الكبرى على أرض فلسطين الكاملة لم يكن سوى مقدمة لحلم المتطرفين... فى حين ان باراك - ورغم مايكتنف موقفه من غموض بشأن مدى الانسحاب الاسرائيلى وطبيعة الرؤية للدولة الفلسطينية المرتقبة - الا انه أبعد مايكون عن أصحاب الفكر القائل بدولة النيل والفرات، وانه قد يكون أقرب الى القائلين باهمية استثمار اسرائيل للفرصة الراهنة المتاحة لتحقيق تسوية تاريخية بين العرب واسرائيل.

ثم لعلى استدرك موضحا بأن الذى أقول به لا يعنى ان ملاكا طاهرا يسعى للسلام قد حل بدلا من شيطان احمق كان يريد أن ينسف كل أمل فى السلام.

أريد أن أقول تحديدا إن باراك - ومع التسليم بصحة مايقال عن تشدد تفاوضى مدفون فى داخل عقله ويحاول اخفاءه بابتسامات مريحة وكلمات خادعة - الا انه فى البداية والنهاية جنرال عسكرى، وليس هناك من يعرف قيمة واهمية وضرورة السلام قدر الذين حاربوا وواجهوا الموت وشهدوا دماء رفاقهم تذهب سدى فى معارك وحروب كان يمكن تجنبها لو سادت روح الرغبة فى التفاهم والتسوية محل روح الرغبة فى الانتقام وتعميق الكراهية.

ومن الطبيعى أن يكون باراك محكوما بعوامل كثيرة تدفعه الى بعض المماطلة وبعض التسويف والرغبة فى ابتزاز الآخرين تحت وهم الاحساس بأن موازين القوى فى مصلحته وان الخيارات الراهنة أمام الآخرين هى خيارات محسدودة... ولكن الجنرال الذى خلع البزة العسكرية وجلس على سدة الحكم لن يغيب عنه أن موازين القوى لا تبقى على حالها الى مالا نهاية... بل ان موازين القوى هى أكثر الحقائق الملموسة عرضة للمتغيرات سواء للاعتبارات الذاتية أو المؤثرات الخارجية.

وظنى ان هذه نقطة مهمة يجب استمرار تذكير باراك بها كلما بدا على السطح ان مستشارى السوء من أجنحة التطرف والتشدد قد غيبوا هذه الحقيقة المهمة عن مخيلته.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

•••

ومن الخطأ أن يتصور أحد ان ما أطرحه هنا من اجتهادات يمكن ان ينظر اليها في سياق الرهان على باراك كرجل سلام، فذلك أمر لم يرد على خاطرى، ولا أظن انه قد ورد على خاطر أحد من الذين طالبوا باعطائه فرصة لاثبات حسن النيات!

ان الرهان يظل على السلام وليس على أى شخص... والمطالبة باعطاء فرصة لاثبات حسن النيات ليست فرصة لواحد بعينه، وانما هي فرصة متجددة لابقاء الأمل على عملية السلام... ومع ذلك لابد من الاعتراف صراحة بانه بينما لم يكن في شخصية وسياسات بنيامين نيتانياهو مايشجع أحدا على الرهان على عملية السلام أو مواصلة اضاعة الوقت باسم الرغبة في اعطاء الفرصة لاثبات حسن النيات بعد أن أهدر نيتانياهو عشرات الفرص، فان شخصية وإشارات - ولا أقول سياسات - باراك هي التي ساعدت على تجديد الرهان على عملية السلام والمطالبة باعطاء فرصة جديدة لاثبات حسن النيات تجاه عملية السلام.

إننا لا نخدع أنفسنا عندما نجدد الرهان على السلام، ولكن علينا ألا ننخدع بمعسول الكلام فقط، لان الرغبة الحقيقية في السلام ليست بالكلمات والتصريحات الجوفاء التي يتوالى انطلاقها شفاهة ولا تصحبها أية خطوات عملية على أرض الواقع، وانما الرغبة الحقيقية في السلام تحتاج الى سرعة الانتقال من شهوة الوقوف امام الكاميرات والعدسات، والدخول على الفور في ساحة الافعال والاجراءات التي ترتكز الى مبادىء ومرجعيات التفاوض وتتقيد بنصوص وبنود الاتفاقيات الموقعة.

وظني أن الشعور الحقيقي - داخل اسرائيل وخارجها - بان باراك يختلف كثيرا عن نيتانياهو سوف يظل رهنا ببدء دوران عجلة اليات التنفيذ الفعلي لاستحقاقات عملية السلام على جميع المسارات.

www.ethraadl.com
إثراء للمعارف الرقمية